

قيس سعيد وسياسة الحديد البارد

فاروق يوسف
كاتب عراقي



في الشارع، تلك كلفة مضاعفة. لم تقف لغته بينه وبين الشعب. هناك تفاهم، قائم في حقيقته على كراهية الطبقة السياسية كلها وليس حركة النهضة وحدها.

يتمنى التونسيون لو أن رئيسهم يملك صلاحية إزالة كل الأحزاب التي شاركت في الحكم عبر السنوات العشر الماضية. وهي سنوات الخراب التي سمحت لشخص مثل المنصف المرزوقي أن يكون رئيساً. ارتكب الشعب التونسي تحت مظلة الديمقراطية أخطاء شنيعة صار على قيس سعيد اليوم أن يتداركها. غير أن طريقة تعامله مع الوقت قد أحدثت كثيراً من سوء الفهم، بحيث صار بعض المحسمين لقراراته يضعون أيديهم على قلوبهم خشية أن ينفذ الوقت الافتراضي للتغيير ولا يضع الرئيس الأمور في نصابها الحقيقي من أجل رؤية صورة تونس التي تنهض نافضة عنها موروث سنوات حكم النهضة العصبية.

صدم الرئيس التونسي الطبقة السياسية في بلاده بالقرارات التي اتخذها يوم 25 يوليو الماضي. كانت المفاجأة بمثابة الصاعقة التي أحدثت نزولها دويها هائلاً في الحياة السياسية. بضربة واحدة تخلّص من خصمين شكلاً عائقاً مزدوجاً أمام قدرة الدولة على العمل. رئيس الوزراء هشام المشيشي الذي أقبل من منصبه وراشد الغنوشي الذي صار من غير وظيفة رسمية بعد أن تم تجريد عمل مجلس النواب وهو رئيسه. كان متوقفاً من سعيد أن يتبع قراراته بقرارات لاحقة ترسخ نهجاً سياسياً مختلفاً عن ذلك النهج الذي كان متبعاً في السابق وكانت الفوضى من أهم سماته، غير أن كل ما صدر من الرئاسة التونسية من قرارات وقع على الهامش ولم يأخذ طريقه في اتجاه المركز.

وإذا كان الرئيس التونسي قد حظي بدعم شرائح عريضة من الشعب بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني، فإن دولا مهمة في الغرب بدأت تفقد صبرها بعد أن كانت مضطرة لاتخاذ مواقف محايدة من الوضع السياسي الجديد.

ذلك ما أفصحته عنه زيارة الوفد الأميركي الذي التقى الرئيس سعيد وعبر عن قلقه في ما يتصل بتعليق الحياة الديمقراطية التي يعول عليها الأميركيون كثيراً من جهة اهتمامهم بمستقبل حركة النهضة، كونها أحد فروع التنظيم العالمي للإخوان المسلمين. صرنا واضحا أن الرئيس ليس في عجلة من أمره، بالرغم من أن الأوضاع الاقتصادية في تونس لا تتحمل أي نوع من البطء. فالوقت كله قد استهلكته حركة النهضة في مغامرات، كان الغرض منها الأفراد بالحكم ومن ثم تطبيق المبادئ الإخوانية بما يضمن إغلاق الباب أمام أي تحول ديمقراطي حقيقي.

ما حدث كان خطوة عظيمة على مستوى ما تجلّى من حقائق، كان الإخوانيون قد غطوها ببريق من شرعية زائفة. فالتحول السياسي الخطير الذي عاشته تونس كان في أعظم تأثيراته موجهاً ضد حركة النهضة التي استولت على عشر سنوات ضائعة من زمن الشعب التونسي، غير أن تونس لم تشهد اعتراضاً شعبياً يكون بمثابة التعبير عن القوة الكامنة التي تدافع عن الغنوشي وجماعته.

لم يقف أحد مع النهضة في محنتها. لقد جس قيس سعيد نبض الشعب وكانت ضربته مثالية وهو حر في ضبط توقيتاته وليس من الإنصاف أن يتم التقليل من قيمة الاتصال البومي بينه وبين الجمهور العادي ليوصف بالشعبوية التي صارت كما لو أنها سببة.

قيس سعيد الذي يتكلم بالعربية الفصحى هو رئيس بلد له أن يتحدث



مصر وإسرائيل والغياب الأميركي

من الدمار والبؤس لأهل القطاع، أن زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي لمصر. على الرغم من أن بينيت ينتمي إلى اليمين الإسرائيلي المتطرف إلا أن تطورات كثيرة في المنطقة والعالم حثت إعادة الاتصالات مع مصر وقبل ذلك مع الأردن. فقد سبق لرئيس الوزراء الإسرائيلي أن قام بزيارة سرية لعمان التقى فيها الملك عبدالله الثاني وذلك قبل زيارة العاهل الأردني لواشنطن بغية الاجتماع بالرئيس جو بايدن الذي التقاه بينيت لاحقاً في البيت الأبيض.

في أيار - مايو الماضي، كان "بيبي" لا يزال في موقع رئيس الوزراء الإسرائيلي. اندلعت حرب غزة بعدما استغلت "حماس" انتفاضة أهل القدس الذين واجهوا الاحتلال الإسرائيلي الذي كان يريد تهجير أهل الشيخ جراح من بيوتهم. جاءت صواريخ "حماس" من غزة كمحاولة لتعويض نتيجاتها. فشلت الصواريخ في ذلك بعدما تبين أن الإدارة الأميركية الجديدة برئاسة جو بايدن تختلف كلياً عن إدارة دونالد ترامب في ما يتعلق بطبيعة التعامل مع إسرائيل وأسلوب هذا التعامل. لا استعداد في واشنطن لاتخاذ أي مبادرة في الشرق الأوسط. لكن الإدارة الحالية ترفض في الوقت ذاته توقيع شيك على بياض لإسرائيل، كما كان يفعل دونالد ترامب، كي تتابع سياسة الاستيطان الهادفة إلى إفراغ الأراضي الفلسطينية من أهلها.

لعل أهم ما أسفرت عنه حرب غزة الأخيرة، بعيداً عن أنها جلبت المزيد

قطاع غزة وتوفير ظروف معيشية أفضل للمواطني فلسطينيين مقيمين فيه تحت سلطة حركة "حماس" التي يتبين كل يوم أنها لا تعرف ما الذي تريده باستثناء أن تكون تابعة للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين وخدمة إيران في الوقت ذاته.

مصر سيتوجب عليها مستقبلاً فتح أبواب غزة ليكون الوضع فيها طبيعياً ويخرج أهلها من القمع الذي وضعته فيه «حماس» التي أقامت منذ منتصف العام 2007 إمارة إسلامية على الطريقة الطالبانية

الأكيد أن بينيت ولايبدو لا ينظران إلى الأمور بالطريقة نفسها والزواوية نفسها، لكنهما يعرفان أن الحكومة الإسرائيلية القائمة ذات طبيعة هشة ومهددة بالسقوط كل يوم. لكن هذا لا يمنع الاعتراف بأن الحكومة الإسرائيلية الجديدة التي رأت النور قبل أقل من خمسة أشهر تبحث عن حلول، حماية لنفسها، وليس عن مواجهات جديدة كما كان يفعل "بيبي".

فرضت التطورات الإقليمية والدولية أن يستقبل الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت في شرم الشيخ. هذا هو الاجتماع الأول من نوعه بين رئيس مصري ورئيس وزراء إسرائيلي منذ ما يزيد على عشر سنوات. يفسر الاجتماع لماذا كان ضرورياً أن تتخلص إسرائيل من عهد بنيامين نتانياهو الذي تصرف باستخفاف وخفة مع كل من مصر والأردن متجاهلاً أنهما أول دولتين عربيتين توقعان معاهدة سلام مع إسرائيل.

وصل الأمر بنتانياهو إلى محاولة إجراج دول تحترم نفسها تعمل من أجل الاستقرار الإقليمي مثل دولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين.

حدث ذلك في مرحلة ما بعد توقيعهما اتفاقات سلام مع إسرائيل برعاية أميركية في 15 أيلول - سبتمبر 2020.

عاد "بيبي" إلى المرابيات في موضوع القدس والاستيطان غير مكترث بحاجة المنطقة إلى الهدوء والبحث في مستقبل العلاقات العربية - الإسرائيلية بعيداً عن فكرة تكريس الاحتلال... وفي ظل احترام حقوق الشعب الفلسطيني.

ذهب بينيت إلى شرم الشيخ بعيداً خروج وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد بخطة من أجل إعادة إعمار

لا يبدو الرئيس التونسي متعجلاً في اتخاذ قرارات التغيير الكبرى. يبدو متفاهماً مع الشارع في إهمال ما تردده الطبقة السياسية وليس النهضة فقط

كان على الرئيس أن يضرب الحديد وهو ساخن، ذلك ما يقوله الكثيرون. أما وقد ترك الحديد يبرد فإن ذلك يعني أن هناك فلسفة أخرى يمكن أن يجد الرئيس فيها منهجاً لتتقبه الواقع التونسي من شوايئه وهو ما يستدعي الكثير من الصبر والتحمل. فهل تونس مستعدة لذلك؟ شهدت تونس خلال أزمة كورونا انهيار مجالي السياحة والزراعة وهما عصبيا الحياة. ذلك يعني أن الحياة الاقتصادية قد بلغت الهاوية في بلد صغير مثل تونس. غير أن ذلك الانهيار كان بمثابة الرسالة الضمنية التي انطلت عليها عشر سنوات من التحارب الحزبي الذي كانت حركة النهضة تقف على قمته.

ما لم ينته ذلك التحارب فإن حياة ديمقراطية صحيحة لن تقوم لها قائمة في تونس. لذلك فإن الخوف على الديمقراطية الذي عبر عنه الوفد الأميركي ما هو إلا حجة باطلة تُراد من خلالها الإيحاء بضرورة عودة حركة النهضة إلى ممارسة دور قيادي في الحياة السياسية.

وكما يبدو فإن الرئيس التونسي وهو يتبع سياسة الحديد البارد صار على يقين من أن ما شهدته تونس قبل 25 يوليو 2021 سيكون جزءاً من الماضي بكل أحرابه وكتله وتحالفاته السياسية. ذلك ما يشجعه على النظر ببرود إلى ما يحدث، مؤمناً بأن ما سيفعله سيخلق وقته المناسب.



الطريقة الطالبانية، نسبة إلى طالبان التي أعادت سيطرتها على أفغانستان. في منطقة، تبدو مقبلة على تغييرات كبيرة في ظل انسحاب أميركي منها، من المفيد حصول لقاء مصري - إسرائيلي، أقله من أجل استيعاب الوضع في غزة والحؤول دون كارثة جديدة. مصر تعرف قبل غيرها أن هناك عائلات غزّوية مازالت تنام في العراء منذ حرب نهاية 2008 وبداية 2009. لدى غزة كل المقومات لتصبح منطقة مزدهرة وأن تشكل نواة لدولة فلسطينية مسالمة تمتلك علاقة مميزة بمصر.

لا شك أن المحادثات المصرية - الإسرائيلية تناولت أموراً كثيرة، من بينها الوضع في جنوب سوريا حيث تحاول إيران تكريس وجود موطن قدم لها. لكن الأکید أن موضوع غزة كان في غاية الأهمية بالنسبة إلى الجانبين في منطقة تمرّ في مرحلة مخاض وفي عالم تبدو فيه إدارة بايدن، الحائرة أصلاً، زادت حيرة. هذه إدارة، فضلت الانسحاب من المنطقة كلها وليس من أفغانستان وحدها. هذه إدارة لا تستطيع جعل في المدى المنظور، سوى في كيفية جعل جو بايدن يستعيد بعض شعبيته التي فقدها في أفغانستان...

